كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الأبعادُ التعليميةُ للأساليبِ البَلاغِيةِ
بلاغةُ الخطاب التشريعي في القرآن الكريم أنموذجاً

إعداد

د/ أيمن خميس عبد اللطيف أبومصطفى

أستاذ النقد والبلاغة والدراسات الأدبية كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا أمريكا

(العدد الأربعون)
(الإصدار الأول ـ الجزء الثاني)
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

الأبعاد التعليمية للأساليب البلاغية
بلاغة الخطاب التشريعي في القرآن الكريم أنموذجاً

أيمن خميس عبد اللطيف أبو مصطفى
قسم النقد والبلاغة والدراسات الأدبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية، ولاية منيسوتا أمريكا.
البريد الإلكتروني: Aymanmostafa1982@gmail.com

الملخص:

البلاغة ممارسة تواصلية، بين المتكلم والمستمع، تهدف إلى تمكين غايات الخطاب، فهي وسيلة لغوية لتحقيق غاية إبلاغيه تواصلية، وبذلك يكون التركيز منصبا على جانبي اللفظ والمعنى، والقرآن الكريم خطاب يحمل غايات متضافرة، فهو خطاب تعلمي وتشريعي وتربوي وكذلك اقتصادي وتاريخي، ويشير إلى قضايا علمية وغير ذلك من الغايات التي لا يمكن فصل بعضها عن بعض، وهي مع جدتها جاءت في أسلوب بلاغي رائق رائع معجز، فلم تأت البلاغة القرآنية زخرفا لفظيا، ولاحلية أسلوبية، وإنما هي وسيلة أسلوبية لتمكين المعنى في القلوب والعقول والنفوس، فهو خطاب إقناع وليس خطاب إمتاع، وبرغم ذلك فإنه جاء في قمة البلاغة.

والبحث هنا محاولة للوقوف على طريقة عرض القرآن الكريم للقضايا التشريعية (افعل – لا تفعل) وكذلك (الحلال والحرام) و (ما يحبه الله وما يكرهه)؛ لنرى كيفية التناول والمعالجة البلاغية للقضايا التشريعية،وهي داخلة ضمن إطار الغاية التعليمية في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يضع الأسس التشريعية للمجتمع المسلم، وقد جاء التعبير عن تلك القضايا بأساليب متنوعة، تتراوح بين الخبر، والانشاء، بين الظهور والخفاء، بين الحقيقة والمجاز، ومن ثمَّ جاءت فكرة هذا

البحث لتجلي هذه الأساليب، وتبين مدي تأثيرها في المتلقي، وتبين مدي دقة القرآن الكريم ، في استخدامه لصيغ الأوامر والنواهي، ووضعه كل صيغة ومفرده في موضعها بحث لو انتقلت من مكانها تزعزع المقصود.

ولعلنا بذلك نفتح أبواب البحث أمام الباحثين لتقصي ملامح البلاغة التعليمية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والله أسأل التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية :

بلاغة الخطاب التعليمي، الخطاب التشريعي، بلاغة القرآن، الإقناع ، الامتاع.

Educational dimensions of rhetorical methods The rhetoric of legislative discourse in the Holy Quran as a model

Ayman Khamis Abdul Latif Abu Mustafa

Department of Criticism, Rhetoric and Literary Studies ,

College of Arts and Humanities at the Islamic University ,

State of Minnesota, America.

E-mail : Aymanmostafa1982@gmail.com

Abstract:

Rhetoric is a communicative practice, between the speaker and the listener, that aims to empower the goals of the discourse, as it is a linguistic means to achieve a communicative and informative purpose, and thus the focus is on both sides of the word and meaning, and the Holy Qur'an is a discourse that carries concerted goals. Scientific and other goals that cannot be separated from each other, and she, along with her grandmother, came in a wonderful, elegant and miraculous rhetorical style. Enjoyment, and despite that, it came at the top of rhetoric. The discussion here is an attempt to find out how the Noble Qur'an presents legislative issues (do – not do), as well as (permissible and forbidden) and (what God loves and hates). Let us see how to address and rhetorically address

legislative issues, which are within the framework of the educational purpose of the Holy Qur'an. The Noble Qur'an lays the legislative foundations for the Muslim community, and the expression of these issues came in a variety of ways, ranging from news and creation, between appearing and hidden, between truth and metaphor, and from Then the idea of this research came to show these methods, and to show the extent of their influence on the recipient, and to show the extent of the accuracy of the Holy Qur'an, in its use of formulas of commands and prohibitions, and putting each formula in its place in order to discuss if it moved from its place, the intended would be shaken. Perhaps by this we would open the doors of research for researchers to investigate the educational features of the rhetoric in the Noble Qur'an and the noble Prophet's hadith, and God I ask of success and repayment.

keywords:

Rhetoric of educational discourse , Legislative discourse , Rhetoric of the Qur'an , Persuasion , Indulgence.

البلاغة فن التواصل، هدفها تمكين الخطاب بجعله أكثر قدرة على الإقناع، فهي وسيلة لغوية لتحقيق غاية إبلاغية تواصلية، وبذلك يكون التركيز منصبًا على جانبي اللفظ والمعنى، ولكنها في الخطاب القرآني ذات خصوصية، حيث إنها لا تكون زينةً أو زخرفًا، فالبلاغة التي نَقصدُ إليها لاتزين الباطل، ولا تدافع عن الزيف، ولا تقنع بالمغالطات، وإنما هي التي تمكن لغاية الخطاب، فتدفع المتلقي دفعا إلى التسليم أو الإقلاع عن فعل ما.

ولذلك فإننا حينما نقف على التشريع القرآني نجد أنفسنا أمام نص يحمل رسالة جادة، وهو في الوقت نفسه يتسم بالعذوبة والاتساق والجمال .

والبحث محاولة للوقوف على طريقة عرض القرآن الكريم للقضايا التشريعية (افعل –لا تفعل) و(الحلال والحرام) و (ما يحبه الله وما يكرهه) ؛لنرى كيفية التناول والمعالجة البلاغية للقضايا التشريعية.

الأبعاد التعليمية في الخطاب التشريعي:

(أ) التدرج الزماني والمكاني:

القرآن الكريم خطاب يقوّم الفردَ ليقوم المجتمع تقويمًا صحيحًا، فالنفس البشرية بطبعها تميل إلى العجلة، تتعجل النتائج، وقد أشار القرآن لذلك بقوله تعالى ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ الإسراء/١١، ولعل أول ملمح تربوي تعليمي نقف عليه هو (التدرج) فالقرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة، بل نزل منجماً أي مفرقاً ومجزأً بالسورة والسورتين، والآية والآيتين والثلاث، على مدى ثلاث وعشرين سنة،قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ الإسراء/١٠٦، وهو بذلك يقوّم تلك النفس ويهذبها.

قال القرطبي: "فرقناه: بتخفيف الراء، ومعناه بيناه وأوضحناه، وفرقنا فيه بين الحق والباطل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فصلناه، وقرأ بعض الصحابة

والتابعين: "فرّقناه" بالتشديد، أي أنزلناه شيئاً بعد شيء، لا جملة واحدة ...، ولا خلاف أنه نزل إلى السماء جملة واحدة ..."[1]، ونقل القرطبي عن الأنباري "أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرّق على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جواباً لمستجير يسأل، ويوقف جبريل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على موضع السورة والآية" وقوله "على مكث" أي تطاول في المدة شيئاً بعد شيء"[2]، وقال القرطبي أيضاً: "ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة، ثم كان جبريل ينزل به نجماً نجماً من الأوامر، والنواهي، والأسباب، وذلك في عشرين سنة أو أكثر"[3].

وكان نزول القرآن منجماً مثار احتجاج الكفار، واعتراض المشركين وحكى القرآن ذلك عنهم، وردّ عليهم، وبيّن الحكمة من التنجيم. فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ الفرقان/٣٢-٣٣.

ولعل السر في تدرج القرآن بالأحكام في الأوامر والنواهي، ونزوله منجماً هو :

- أن الناس اعتادوا أموراً موروثة، ولم يألفوا الأحكام الشرعية الجديدة، فلو خوطبوا بها دفعة واحدة، وكلفوا بما لم يتعودوا، لأعرضوا،أو ملوا، أو تباطؤوا في التنفيذ، وهو ما وضحته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب

(١) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ): تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، دار الكاتب العربي – القاهرة (١٣٨٧هـ/١٩٦٧مدرعات) تصوير عن طبعة دار الكتب المصرية. ٣٣٩/١٠.

(٢) نفسه ٦٠/١، ٣٣٩/١٠.

(٣) نفسه ٢٩٧/٢.

الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول الأمر: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا : لا ندع الزنا أبدًا"[١].

- طبيعة الإنسان التي أشرنا إليها آنفا، والتي أشار إليها القرآن في أكثر من موضع، حيث ذكر أنه عجول ﴿ كَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾ الإسراء آية ١١، وأنه كثير الجدل ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ الكهف آية ١٠، وهو الذي خلقه ويعلم ما يصلحه، وهو اللطيف بعباده، الخبير بأحوالهم، ولو نزل عليهم بغير هذه الصورة لنفروا منه، وصعب عليهم تطبيقه.
- تهيئة النفوس لتقبل الأحكام، فيبين في المكي أن هذه الشرائع والأحكام مما شرعه الله على الأنبياء والأمم السابقة، ثم يأتي القرآن المدني فيفصل تلك الأحكام، ويكلف المسلمين بها فعلاً لتنفيذها والالتزام بها [٢]، وفي ذلك يقول الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ: "ويرجع أساس التفرقة بين المكي والمدني إلى أن حياة المؤمنين بمكة لم تكن حياة قارة متركزة..، وبهذا لم يكن المؤمنون على استعداد لأن يخاطبوا بنظام تفصيلي..، ولكن حين ارتحلوا إلى المدينة، وتكونوا بأخوة الإيمان جماعة متميزة في الحياة...، نزلت عليهم بهذا الاعتبار التشريعات المنظمة لأحوالهم، المركزة لشؤونهم، الفاصلة بينهم وبين غيرهم"[٣].

---

(١) رواه البخاري

(٢) محمود شلتوت :الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة ، الطبعة ١٥ ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص٣٣٢

(٣) نفسه ص٣٣٣

- مراعاة ظروف المتلقي، فالقرآن تشريع يضبط حياة الأمة الإسلامية، ولذا فقد جاء بما يناسب ظروف حياتهم، فينزل القرآن ليعالج القضايا بتشريع وقلما نرى حكماً لم يذكر المفسرون له حادثاً نزل الحكم مرتباً عليه، مما يدل على أن الأحكام كانت جواباً لسؤال أو حلاً لمشكلة، أو علاجاً لأمر واقع عرض للناس في حياتهم، أو حكماً في دعوى، أو فصلاً في نزاع، أو معالجة لمشكلة، أو تنبيهاً وتحذيراً من منكر وقع...، وهو ما جمعه العلماء بعنوان "أسباب ورود الحديث" مما يؤكد أن التدرج في التشريع كان هو السمة الأساسية في العهد النبوي.

ملامح العرض الأسلوبي للأحكام التشريعية:

القرآن الكريم رسالة تشريعية بلغة عربية، هذه اللغة لها خصائصها البلاغية، فهو ليس لغة جافة، وإنما هو كتاب واضح مبين مفصل، ومن أدل الأمثلة على ذلك آيات الأحكام والتشريع، فـ«للقرآنِ أساليب مختلفة في بيان الأحكام، اقتضتها بلاغته، وكونه معجزاً، وكتابَ هداية وإرشاد، فهو يعرض الأحكام عرضًا فيه تشويق للامتثال وتنفير عن المخالفة والعناد»[1].

فآيات الأحكام جاءت في ثوب بلاغي قشيب، يجعلها أكثر تمكنًا في النفوس مما يجعلها محفوفة بدواعي الاستجابة ودوافع الامتثال، فنجد أن لها خصائصها المميزة، فليست ذات سمة تحسينية تزينية، وليست ذات طريقة جافة، وإنما هي ممكنات أسلوبية لغاية تشريعية، يحدثنا عنها صاحب المنار قائلًا:" لم يكن القرآن الكريم كتابًا فنيًا، يجعل لكل مقصدٍ من مقاصده بابًا خاصًا به، وإنما هو كتاب هداية، يُعنى بالمعاني التي يراد إيداعها في النفوس بأساليب هي أكثرُ

(١)عبد الكريم زيدان :أصول الدعوة، الطبعة الثالثة، سنة: ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م صـ١٥٨.

تأثيرا فيها[١].

وإلى هذه الملامح الأسلوبية يشير الإمام الأكبر محمود شلتوت: «إن بيان (القرآن الكريم) لتلك الأحكام لم يكن على سنن البيان المعروف في القوانين الوضعية، بأن يذكر الأوامر والنواهي جافة مجردة عن معاني الترغيب والترهيب، وإنما يسوقها مختلفة بأنواع من المعاني التي من شأنها أن تخلق في نفوس المخاطبين بها الهيبة والمراقبة، والشعور بالفائدة العاجلة، والآجلة، فيدعوهم كل هذا إلى المسارعة إليها ، وامتثال الأمر فيها؛ نظرًا إلى واجب الإيمان، وبداعية الخوف من عقاب الله وغضبه، والطمع في ثوابه ورضاه، وهذا هو الوازع الديني الذي تمتاز بغرسه في النفوس الشرائع السماوية» [٢].

ويقول محمد النبهان: «القرآن كتاب هداية، وهذا هو الأصل فيه، وكل ما ورد فيه من توجيه وما اشتمل عليه من منهج وما تميز به من أسلوب إنما يهدف إلى تحقيق تلك الغاية، ولذا فلا يمكننا أن نطبق المعاييرَ البشرية المتعارفَةَ على كتاب الله، ولو طُبقت تلك المعاييرُ عليه لانتفت الخصوصية القرآنية، وهي خصوصية في الأسلوب، وفي القصة، وفي النظم، وفي التصوير، وفي المنهج»[٣].

وسنعرض فيما يلي أهم الملامح الأسلوبية في آيات الأحكام التشريعية في القرآن الكريم:

- النداء: تكرُّر النداءِ بـ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، حيث تكرر ذكره في القرآن الكريم

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٩٩٠م، ٢١٢/٤.

(٢) محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة صـ٤٨٦.

(٣) محمد فاروق النبهان: المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، ط: دار عالم القرآن –حلب، الأولى، سنة: ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، صـ٢٥٣

تسعا وثمانين مرة، وفي كلِّ مرة يعقبه حكمٌ تكليفي، فقد روي عن ابن مسعود – رضي الله عنهما– أنه قالَ: «إذا سمعتَ اللهَ يقولُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فأرعها سمعَك، فإنَّه خيرٌ يأمر به، أو شرٌّ ينهى عنه»(١).

- الحكم في سياق القصص القرآني، وفي ذلك يقول الفخر الرازي : «اعلم أنَّ عادته –تعالى– في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكامِ القصصَ ليفيدَ الاعتبار للسَّامعِ، ويحملُه ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والانقياد»(٢)، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ من سورة المائدة آية٣٢، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة وما بعدها من الآيات على تحريم قتل النفس بغير حق والاعتداء عليهم، وقد سبقت هذه الأحكام بقصة ابني آدم: قابيل وهابيل، كشفاً عن بواعث الجريمة في النفس البشرية، وتصويرًا لبشاعتها وشناعتها، وتهيئة للنفسِ لقبول هذه الأحكام، فلا يسع العقل إلا الإذعان والقبول لها على الرغم مما يبدو فيها من الشدة والحسم، ويظهر جليًا للمتدبر في الآيات شدة الاتساق بين القصة وما عقبت به من أحكام(٣).

(١) ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٩٦/١، ط: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى، سنة: ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(٢) فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ، ط: دار الفكر، الأولى، سنة: ١٤٠١هـ، ١٩٨١م. ١٧٤/٦

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ط: دار الشروق، الثانية والثلاثون، سنة: ٢٠٠٣م. ٨٧٣/٢.

- **الحكم في سياق الأمثال، يكون الحكم في سياق الأمثل أدعى للامتثال للحكم، وذلك لما للمثل من أثر في النفوس والقلوب، يقول الفخر الرازي: «القصد بالأمثال صرف المكلف عنه إذا كان قبيحاً، والدعاءُ إليه إذا كان حسنا»[1]، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة آية 264**
- **الحكم في سياق الترغيب، وفي الترغيب تشويق وتحبيب ودفع وتلطف ورفق ولين، وكل هذا يجعل الحكم مقبولا من النفوس، محببا إلى القلوب، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور آية: 22.**
- **الحكم في سياق الترهيب، والترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[2]، فحينما يأتي الحكم مقرونا بوسائل الترهيب يكون أكثر زجرا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِير ﴾ آل عمران ٢٨.**

(١) الرازي: التفسير الكبير ٢٠/١١٠.

(٢) عبد الكريم زيدان :أصول الدعوة، صـ٤٢١

- **الحكم مقترن بعلته، وذلك لتقبل النفوس على الحكم وهي مقتنعة به، فليست قررات بدون مسوغات، وإنما هي أحكام بها تنصلح الأحوال، وقد تعددت صيغ التعليل في القرآن الكريم، وفي ذلك يقول ابن القيم: «وقد جاء التعليل في الكتاب العزيز بالباء تارة، وباللام تارة، وبأنْ تارة، وبمجموعهما تارة، وبكي تارة، ومن أجل تارة، وترتيب الجزاء على الشرط تارة، وبالفاء المؤذنة بالسببية تارة، وترتيب الحكم على الوصف المقتضي له تارة، وبلما تارة، وبأن المشددة تارة، وبلعل تارة، وبالمفعول له تارة» (١)، ومن ذلك قوله تعالى﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر آية: ٥٩.**

كما أن القرآن الكريم يربط بين التشريع وحكمته ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت آية ٤٥.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما أن الحكم يرتبط بعلته فيجعله أكثر إقناعا، يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء آية ٤٣.فالنهي عن إتيان الصلاة في حالة السكر جاء لعلة اليقظة والتنبه.

---

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط: دار ابن الجوزي، السعودية، الأولى، سنة: ١٤٢٣هـ/٢/٣٣٣

- **التنويع في الأساليب، نلاحظ أن الآيات التي تشتمل على أحكام تجمع بين الأسلوبين الخبري والإنشائي، فلم تأت خبرية دائما ، ولا إنشائية دائما، وقد تأتي خبرية لفظًا إنشائية معنى.**

فما جاء في صورة أسلوب خبري فيدخل تحت القطعي الدلالة، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء آية ١٢، فقد دلت الآيةُ الكريمة على الحكم وهو أن الرجل يرث من مال زوجه النصف إن لم يكن لها ولد- دلالةً قطعيةً، فلم تحتمل معنى آخر، ولم تختلف الآراء في هذا الحكم.

ومن الإخبار :

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء آية٥٨.

وقوله تعالى﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ الشورى آية١٣.

وقوله تعالى﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ التحريم آية٢.

وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة آية ١٧٨.

وقد يأتي الأسلوب الخبري مع (ظني الدلالة) كدلالة (الإقساط) في قوله تعالى﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة آية ٨.

فالظاهر أن معناه: العدل، وعلى هذا فالآية الكريمة تأمر بالعدل مع غير أهل الملة حتى لا يتوهم أحد أن مخالفتهم الدينَ الحقَّ يجوِّزُ الجورَ في المعاملة معهم.

ويجوز أن يراد به الأمر بإعطائهم قسطا من المال، وعليه فالآية تشريع باستحباب مواساة هؤلاء والتوسعة عليهم عندما تنزل بهم فاقة وعوز؛ وهو ما ذهب إليه القاضي أبو بكر ابن العربي(١).

ومن الأحكام ما جاء في أسلوب إنشائي كالأمر أو النهي أو الاستفهام،ومن ذلك قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ التوبة آية ٣٨. فالاستفهام هنا للتوبيخ وفيه دلالة على الحث للخروج للجهاد.

ومن الأحكام القرآنية (الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله) وسوف نقف عند هذا الحكم بوصفه نموذجا لتناول القرآن للأحكام،نحاول أن نقف على أساليب القرآن

(١) ابن العربي: أحكام القرآن ، ط: دار الكتب العلمية– بيروت، ٢٢٨/٤.

في الإقناع بالإنفاق في سورة البقرة، حيث استطاع القرآن أن يعرض موضوع الإنفاق في سياق واحد، وفي آيات متتابعة، مستخدما أساليب متنوعة لتشكل هذه الأساليب ضواغط أسلوبية تصل بالمتلقي إلى إخراج المال طواعية.

وحينما يصل الخطاب إلى مكونات التأثير العقلي والعاطفي يتحول الطلب إلى فعل منجز، ولعل أصدق شاهد على ذلك قوله تعالى:﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور/٢٢].

وقد تحول الطلب إلى منجز، وتغير الموقف، فقد ذكر الواحدي أن الآية قصدت : (أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً وكان ابن خالة أبي بكر وكان قد حلف ان لا ينفق عليه ولا يؤتيه شيئاً، وليعفوا وليصفحوا عنهم لخوضهم في حديث عائشة ألاّ تحبون أن يغفر الله لكم. فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه)[1].

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) :زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد القادر المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت،١٤٢٢هـ/٦/٢٤ .

١- خطاب الإنفاق وتماسك النص:

إن القرآن الكريم مترابط الدلالة، نسيجه واحد، يرتبط أوله بآخره، ويفسر بعضهُ بعضًا، ولذا فإن آيات الإنفاق في سورة البقرة ليست منعزلة عن نسيج السورة، بل هي خيط يرتبط بنسيج النص، فالسورة بدأت بالأحرف المقطعة(ألم) وهذه البداية بداية مشوقة؛ حيث تثير في الأذهان تساؤلات حول دلالة هذه الأحرف، التي ربما قُصد منها أن تنبه العرب إلى كون القرآن من جنس لغتهم التي نبغوا فيها، ومن ثم نجد بعد هذه الأحرف في أغلب سياقاتها القرآنية ذكر للقرآن الكريم، وقد جاء هنا الحديث عن القرآن بوصفه كتابا﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ﴾ وذكر الكتابة فيه تقوية للحجة وإلزام للخصم، فالنص المكتوب يسهل عليك أن تعيد النظر فيه مرة بعد مرة، على خلاف النص المنطوق الذي ينتهي بانتهاء النطق به، وكذلك استخدام اسم الإشارة(ذلك) الدال على بعد المنزلة وعلو المكانة، وقد جاء قوله تعالى ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ قاطعًا لشبهات المشككين في نسبته لرب العالمين، وهذه الدلالة التي تنفي مطلق الشك والريب عن القرآن تثبت المؤمنين الذين آمنوا به كتابا ومنهجا، وبعد ذلك يأتي ذكر الهدف والغاية من الكتاب(هدى) فهو كتاب هداية وتوضيح وتبيين وإرشاد، ولكن الذين يستفيدون منه لهم صفات خاصة (للمتقين) ومن ثم يأتي تفصيل القول في المتقين، فمن هم؟ وما صفاتهم؟.

وتأتي صفاتهم (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) ونلاحظ هذا الترتيب العجيب في ذكر هذه الصفات:

أولا: الإيمان بالغيب.

ثانياً: إقامة الصلاة.

ثالثاً: الإنفاق.

رابعاً: الإيمان بالكتاب المنزل والكتب السابقة.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر.

فالإيمان بالغيب يعني التسليم المطلق، واليقين التام، بكل ما جاء عن الغيب، وهذا اليقين يدفع النفس إلى الرضا والتسليم، ومن ثم الإقبال على الله تعالى بقلب خاشع في الصلاة، التي يتصدق فيها بجزء من وقته، ويأتي الإنفاق المترتب على التصديق بوعد الله والعمل لمرضاته، دون نظر لنظر الخلق، فالمرء يتاجر مع ربه تعالى.

وهذا الوعد الذي ينبغي أن يصدقه المؤمن جاء ذكره في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مع اليقين التام بأن الجزاء الأوفى سيكون في اليوم الآخر، يوم القيامة.

ومن ثم جاء تفسير وتوضيح هذه الصفات في السورة كلها، فنجد غالبا الحث على الإنفاق مقرونا بالحديث عن اليوم الآخر، وبذلك يكون الخطاب أكثر تأثيرا ،﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة / ٢٦١

فقد جاءت هذه الآيات بعد الحديث عن البعث والنشور، وذلك لأن القلوب حينما تستشعر الوجل والخوف من ذلك اليوم العظيم تبحث عن أسباب النجاة، فيأتي الحث على الإنفاق باعتباره نجاة من هول ذلك اليوم.

٢- الإقناع بالترغيب والترهيب والممكنات التصويرية:

المتلقي المتعدد جعل تنوع الأساليب أمرًا حتميًا، فالأسلوب تعبير عن نوعية المتلقي، فقد يناسب أسلوب الترغيب بعض المتلقين، ويناسب أسلوب الترهيب بعضا آخر، فيختلف التعبير القرآني في الحديث عن قضية واحدة باختلاف السياق، وذلك لاختلاف المتلقي، واختلاف الغاية من الخطاب، ولعلنا نلاحظ أن الحديث عمن يمتنع عن الإنفاق لإنكاره وعدم اقتناعه، يختلف عن الحديث الموجه إلى المسلمين لحثهم على الإنفاق:

فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة ٣٤ ، ٣٥)

يختلف عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ (إبراهيم٣١)

فالغاية في الموضعين تتمثل في طلب الإنفاق وطلب الكف عن الشح والبخل وكنز الأموال، و فيهما تذكير باليوم الآخر مستخدم بوصفه وسيلة تمكينية، ولكننا نلاحظ أنه قد تفاوتت درجة الإقناع بين السياقين فنجد أقصى درجات التخويف والترهيب في التذكير باليوم الآخر، ولكن جاء التركيز في مشهد التوبة على النار وهي تُحمى على أموالهم التي كنزوها ثم تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ويأتي خطاب التبكيت والزجر﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾ ثم يأتي الوعيد "فذوقوا العذاب" وياتي تعليل العاقبة برغم مرور ذكره زجرا وتقبيحا لهم" بما كنتم تكنزون" وقد جاءت الاستعارة هنا ممكنة لمعنى شدة العذاب، "فذوقوا العذاب" فالنفس تُعذّب

لرؤية العذاب، ثم تُعذب بالعذاب نفسه، أما في الآية الأخرى- آية سورة إبراهيم- فقد جاء ذكر اليوم الآخر عاماً بإسناد الفعل يأتي لليوم النكرة الموصوفة بـ (لا بيع فيه ولا خلال)ولعل السبب هو اختلاف الموقفين ، فالخطاب للمؤمنين تذكير عام (توجيه محبة لأن الله نسبهم إلى نفسه ووصفهم بالعباد) يوضعون موضع خالي الذهن في التصنيف البلاغي لأحوال الإسناد . وهو تحذير لأناس مخصوصين بكونهم عباد الله؛ حتى لا يقعوا في الخطأ . فعندما يوجه يوجه بلطف، أما آية التوبة فموجهة إلى (الذين يكنزون) ، فهم بالفعل وقعوا في الخطأ ، ولما تغيرت الغاية وتغير السياق تغيرت الوسيلة ، ففي الأولى نموذج ترهيبي ، وفي الثانية نموذج ترغيبي.

وفي سياق الترغيب يكون التمثيل ممكنا بلاغيا للمعنى، وذلك بذكر مضاعفة الأجر للمنفق، كما في قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة ٢٦١ ، ٢٦٢ .

ومن ثم يأتي الحث على أن يكون الإنفاق خالصا لله تعالى بعيدا عن الرياء والسمعة، وهذا الاحتراس المتكرر بتوضيح أن الإنفاق ينبغي أن يكون خالصا لله في السر والعلن ،والسياق الذي ربط بين الإنفاق واليوم الآخر هو ما دفع إلى هذا الاحتراس، فليس لأنه قانون مسبق جاهز يطلبه وقتما يشاء المتكلم ، بل لأن المعنى والدواعي السياقية والعلاقة بين كل من المتكلم والمخاطب ودرجة هذه العلاقة كل هذه الجوانب تبين لماذا يوجد الشكل البلاغي وذلك هو دور الأسلوبية ومن ثم " ينبغي أن ندرك أن هناك حركة شبه لاواعية تتردد عند من يهتمون باللغة ، بين العملية التي تقضي بوصف كيف يعمل النظام – الأسلوبية – وبين تلك

العملية التي تقضي بأن يقال كيف يجب على النظام أن يعمل – البلاغة . [1]، " ولقد أولى الوصف البلاغي – إذن – عناية كبيرة بالأشكال من أجل إقامة قوانين عامة ، وعنى الوصف الأسلوبي بالخصوصيات ، بالأساليب الفردية من أجل الكشف عن ماهيتها وتفسيرها " [2] وذلك ما تحقق من خلال شكل الاحتراس في الآيات من حيث لم نصل إلى تبرير وجوده ، وإلى آثاره ودلالاته إلا بما بينه النص قبله .

وقد جاء التمثيل ممكنا لهذه الغاية الإقناعية، فالذي يرائي الناس وينفق للسمعة تشبه حالة ضياع أجره، حالة الصخرة الملساء التي نزل عليها التراب، لكنه حينما أصابه الإعصار لم يبقِ عليه ترابا، فحالة ذهاب التراب تشبه حالة ضياع الأجر، ولا شك أن هذا التمثيل يحرك النفس نحو الإخلاص.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة / ٢٦٤

فالتشبيه في قوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً ﴾ {البقرة: ٢٦٤} . للمبالغة، يقول البقاعي: " ولما ضرب مثلاً لنماء النفقة بالحرث ضرب مثلاً لابطالها بخطأ الحارث في الحرث فقال : (فمثله) في إنفاقه مقارنا لما يفسده ، ومثل نفقته (كمثل صفوان) وما زرع عليه وهي مبالغة من الصفا وهي الحجارة الملس الصلبة ..." [3] .

---

(١) جورج مولينيه : الأسلوبية ، ت د بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص ٤٤

(٢) سعيد بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان. ١٩٩٧م. الطبعة الأولى ، ص ٦٥ .

(٣) سعيد بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ٨٠/٤ .

وهنا تتضح قيمة التصوير، فالتشبيه هنا يثير عقل المتلقي، فلابد أن عقل المتلقي سيعمل ويفكر في جدوى الإنفاق، وأثر الإخلاص في الإنفاق ، فيأتي التشبيه قاطعا كل ذلك بالصوت والصورة معاً ، وذلك " لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام " [1]وأصبح التشبيه – الشكل البلاغي – " الأداة التي تجعلنا على وعي بالأشياء ، فهي التقنية التي تجعل الشيء قابلاً للإدراك كما تجعله فنياً [2]"

وبعد هذا النموذج الترهيبي نجد نموذجًا ترغيبيًا يرغب في الإنفاق ويصور المشهد بصورة مضادة للصورة الأولى:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة / ٢٦٥ .

ثم يكون السؤال الذي يحمل دلالات متداخلة فهو يمكن للغاية التي جاء لأجلها التمثيلان السابقان ، هذا السؤال الذي يخاطب العقل والعاطفة معا :

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة / ٢٦٦ .

(١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة ص ٩٤ .

(٢) روبرت هولب . نظرية التلقي ، ت د. عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر ص ٧٣ .

"أيود" فلما كان الحديث عن محبوب بل أحب محبوب "الأبناء" وهم زينة الحياة الدنيا ، تتعلق بهم القلوب ، فتتحرك الجوارح كلها لأجلهم ، ويحرص الوالد على أبنائه حرصا يدفعه لجمع المال وتأمين الحياة لهم ، لكن المشهد هنا يركز على صورة أب بلغ من الكبر عتيا، وقد اجتهد كل الاجتهاد ليجمع لأبنائه "الضعاف" المال الذي يضمن لهم الحياة الكريمة ، وتأمل ما توحيه "ذرية ضعفاء" من معاني الضعف والحاجة ، لكنه وقد كبر سنه يصيب جنته إعصار فيه نار ، فالماء يغرق والنار تحرق ، وتأمل أيضا "إعصار فيه نار" وما يحمله من معاني الدمار والحطام ، جاء هذا في آخر العمر ،ليُحَمِّل الرجل عذابين ، عذاب الحاضر وعذاب المستقبل ، فقد فقد كل شيء.

وهكذا يكون حال الذي ينفق طلبا للشهرة أو السمعة، ولا يدخر ما ينفقه ليوم القيامة.

ومن ثم يأتي النداء بعد دغدغة المشاعر والعواطف، ليحول هذه العواطف إلى عمل ، ويحث على أن يكون الإنفاق من أحسن المال وأجوده :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ البقرة : ٢٦٧

وللإقناع بالإنفاق يأتي ذكر عداوة الشيطان محفزًا لمخالفته ، فهو يدعو إلى البخل ، وهذه تكفي ، فمن الوسائل الإقناعية استخدام الألفاظ ذات العلاقات المعرفية المتشابكة ، و"الشيطان " هنا يستحضر كل ما في ذهن المتلقي من عداوة للشيطان :

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة : ٢٦٨

وهذه المقارنة الإقناعية بين وعد الشيطان ووعد الله ممكن للغاية التي من أجلها الخطاب وهي الإنفاق ، فأنت تستحضر وعد الله الصادق ، ووعد الشيطان الكاذب الماكر ، ولعلم الله بطبائع البشر ، جاء تذييل الآية بهذين الوصفين "واسع" "عليم" فواسع تخاطب فيه الحاجة ، وعليم تخاطب فيه الدافع ، فالحاجة إلى الأجر تتطلب أن يكون الإنفاق خالصا ، والذي يعلم ذلك هو الله.

﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ البقرة : ٢٦٩ ، وورود الحكمة بين آيات الإنفاق يربطها بالسياق ، فالحكمة أن تدخر عند الله ، وأن تنفق ابتغاء مرضاته ، فمن علم صدق وعد الله أخرج ما في يده دون أن يجد لوما من نفسه المحبة لكنز المال.

ففي الآية خطاب للعقل بأن يفكر ويتأمل وينظر في عاقبة الأمور ، فما ينفقه الإنسان ابتغاء مرضاة الله سيجد أثره في الآخرة ، وما أنفقه في الدنيا من أجل الدنيا فسينتهي بانتهاء الدنيا:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة : ٢٧٠ ، ٢٧١، فنجد الربط بين الإنفاق والأجر في الآخرة محفزًا ومقنعًا ومؤثرًا في نفس المتلقي ، وهنا جاءت إضافة أخرى وهي "ويكفر عنكم من سيئاتكم" وجاءت من التبعيضية لكي لا يتكل المرء على الصدقات وحدها ، ومن ثم يتجرأ على المعاصي والآثام.

ويبدو أن تغيير الطباع المحبة والمتعلقة بالمال كان أمرا صعبا ، فحاول النبي صلى الله عليه وسلم أن يحفزهم للإنفاق كثيرا ، ولكن بعض المتلقين أعرض ، فكان هذا الخطاب:

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة : ٢٧٢ : ٢٧٣

ويتكرر الحض بعد الحض للوصول إلى الغاية بأكثر من ممكن ، فيأتي بيان أمنهم يوم القيامة وعدم حزنهم ، ولاشك أن النفس تتخوف من الخوف يومئذ ، وقد جاء الفعل المضارع" ينفقون "ليحمل دلالة التجدد والاستمرار في البذل والعطاء ، وقد خصص الإنفاق بالمال هنا لأن الحديث عن المال في كل أحواله اكتسابا وإنفاقا وإقراضا وبيعا وشراء ، ثم بينت الآية عموم الوقت وشمولية الإنفاق جميع الأوقات والأحوال ليلا ونهارا سرا وعلانية .

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة : ٢٦٢ ، **وتنتقل الآيات عبر الغاية إلى نوع من التصرف المذموم في المال وهو الربا ، والربا يمنع الود والصلة والتراحم بين الناس ، والود والصلة بين الناس ناتج من نواتج الإنفاق في سبيل الله ؛ لذا جاء هذا التصوير البديع:**

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٦٢ – ٢٨٠

ولو أننا نظرنا لهذا الأسلوب الترهيبي الذي جاء في الإقناع لوجدناه جاء مؤخرا، على عكس الحديث الخاص بالحجاج لأهل الكفر الذين يكنزون الذهب والفضة فقد جاء الترهيب مباشرة ؛لأنهم واقعون في البخل وعدم الإنفاق حقيقة ، وهم ينكرون جدوى الإنفاق ويرونه أخذا من أموالهم بغير حق.

فتأمل لفظة (يمحق)وما تحمله من دلالة الهلاك التام، وتأمل "فأذنوا بحرب من الله ورسوله" فإنها تفجر ينابيع الخوف والرهبة، فالحرب مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبرغم هذه الأساليب الترهيبية نجد الباب مفتوحا أمام التائبين، وهذا الباب يفتح أبواب صلاح المجتمع، فلو أن كل مذنب أغلقت أمامه الأبواب لتمادى المذنبون وهلك المجتمع وعمت الفوضى.

فالملاحظ أن الإنفاق يرتبط بالحديث عن الجنة والتخويف من هول يوم القيامة ، وذلك يكون أكثر تأثيرا في النفس ، فتقبل النفس على الإنفاق مخالفة ميل النفس ، فالصراع يكون محتدما بين طبيعة النفس المحبة للجمع ، وبين حاجة الله لتزكية تلك النفس من التعلق بالدنيا ، وساعة أن تنتصر النفس على الهوى تشعر بلذة وسعادة.

فالآيات هنا تخاطب النفس، وتقنعها بضرورة الإنفاق على أن يكون لوجه الله، فالإطعام من أوجه الإنفاق، وقد تخالطه الرغبة في السمعة، فتأتي هذه الآيات لتهذب تلك النفس ؛ كي لايضيع أجرها.

بل إن في الخطاب مؤثرات شعورية نقف عليها من خلال هذه اللغة السهلة السلسالة التي تكرر فيها حرف السين ليناسب تلك السهولة، فحرف السين في موضع الاستشهاد تكرر (٢٩) تسعا وعشرين مرة ، كما نجد التركيز على العاقبة بذكر انتفاء الخوف والحزن عن المنفقين، وحلول العذاب للممسكين والمرابين.

وقد عرض الله مشهد البذل ومشهد الرد وحالة الإخلاص في العطاء؛ لتكون صورة متخيلة في ذهن السامع، فكأنه يرى المشهد بعينيه فيتأثر به.

٣- الممكنات والضواغط الأسلوبية:

أولا: الأسلوب الخبري وإنتاج الدلالة الضمنية:

الأسلوب الخبري يختلف عن الأسلوب الإنشائي في درجة التوجيه المباشر، فالأسلوب الإنشائي يعرض الطلب بشكل واضح مباشر، وهو مناسب للحالات الإلزامية التشريعية التي تقتضي(افعل ولا تفعل) أما الأمور التي تتطلب الإقناع فإن المناسب لها هو الأسلوب الخبري، وهو يأتي متزامنا مع الإنشائي لتمكين المعنى وتحقيق الدلالة وبلوغ الغاية.

وتلقى المتلقون الآية فلا يقفون عند المعنى الحرفي، بل ينصرفون إلى التوجيه الضمني منها، يقفون ليسألوا أنفسهم: ما المطلوب ؟ لأنهم يدركون أن القرآن منهج حياة.

وهذه هي سمة الأسلوب الخبري الذي لا يصرح بالطلب تصريحاً مباشراً ولكن القارئ هو الذي يستخلصه بنفسه، ومن ثم يصبح دور المتلقي مع الأسلوب الخبري دوراً مزدوجاً لأنه يتلقى خبراً أو قولاً ما بمثابة معلومة جديدة عليه، ويكمن دوره هو في استخلاص ما ينبغي عليه نحو ما علم . أما الجملة الإنشائية الطلبية " فينبغي أن يتعين المقصود منها وهو فعل شيء ما ، على نقيض الاكتفاء بقول شيء

ما ."[1] أي في الجملة الخبرية. وهذا الأسلوب الخبري يحقق البعد العاطفي بحيث ينتقل من مجرد الإخبار إلى إثارة العاطفة، وبذلك يكون الأسلوب مناسبا لـ " المضمون الوجداني للغة "[2].

وقد أشار د.عيد بلبع إلى أن أسلوب الخبر قد ينتج دلالات ضمنية في سياق حديثه عن الحديث النبوي حيث قال: " فإنه من المعروف أن دلالات الإلزام والكف قد ينتجها الخبر ، بل إن الخبر في بعض التراكيب في الحديث النبوي الشريف ينتجها بصورة أمعن في الإلزام من الصيغ المعروفة ." [3]

وينبغي أن نشير إلى خصوصية الأسلوب الخبري هنا عن غيره من أنواع الخطابات الأخرى، فالأسلوب الخبري – هنا– ليس مرتبطا بمدى تحقق مطابقته الواقع أو عدم مطابقته أي الصدق والكذب ، فهذا الأساس لا يتحقق –هنا–؛ لأن الحكم على صحة الأسلوب معروف مسبقاً فهو كلام الله ومن أصدق من الله قيلا؟!.

إذن فغاية الخبر ليست مجرد الإعلام، وإنما هي تحول الكلام إلى فعل منجز، التحول بالمنطوق على توجيه، كما سنرى.

أ- **أسلوب الشرط المعتمد على التعليل وإنتاج الدلالة الضمنية:**

تكرر بشكل ملحوظ تركيب الشرط في هذه الآيات موضوع الدراسة، كما يلاحظ اقترانه بالتعليل؛ وذلك لطبيعة هذا الخطاب التعليمية فالغاية الأولي فيه هي التعليم والتوجيه ومن ثم يأتي الشرط حاملاً الطلب المراد ، ثم يعقبه التعليل إيضاحاً وتبيينا

(١) أوستين : نظرية أفعال الكلام العامة ، ت عبد القادر قنيني .أفريقيا الشرق الطبعة:١٩٩١ ص ١٥٥ .

(٢) بيرجيروا : الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة : د. منذر عياشي مركز الإنماء الحضاري الطبعة الثانية ١٩٩٤ ص ٣٧ .

(٣) عيد بلبع . السياق وتوجيه دلالة النص: مقدمة فى نظرية البلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة: ٢٠٠٧ ، ص ١٣٥ .

لهذا الطلب ليرتفع الأسلوب من درجة الاختبار والإعلام إلي درجة أعلي هي أقرب لتحقيق امتثال المتلقي واقتناعه . وحين يأتي الشرط في سياقات التعليم والتوجيه يكون أقوى في أداء ذلك .

فقد جاء أسلوب الشرط وفق النسق اللغوي مكونا من: اسم الشرط و جملة فعل الشرط و جملة جواب الشرط ، وهو بهذا النسق يندرج تحت الأسلوب الخبري ، ولكنه يُنتج دلالة ضمنية تتمثل في وجود الأمر والنهي الضمنيين وما وراءهما من دلالات الترغيب والترهيب ومن ثم يستطيع متلقي النص أن يدرك كيفية " تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية في الأداء الإبداعي دون وقوع في شرك الفصل بين الشكل والمضمون " [١] مع أن الأسلوب ما زال نحوياً تماماً ، ومن ثم نجد أن للبنية النحوية قدرة عظيمة وطاقته كبيرة على إخصاب التفسير اللغوي عامة [٢]، ولذا فإن قراءة النص تدفع القاريء أو المتلقي إلى الاتجاه نحو المعاني الثواني، والتغلغل في النص أثناء قراءته وعدم التوقف عند السطح الظاهر فقط منه .

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٢٧٠) إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271) * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

(١) محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر الطبعة الاولى ١٩٩٤ ص ٤ .

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف :الجملة في الشعر العربي ، الخانجي ، القاهرة ص ١٤.

في أربع آيات نجد ست أساليب للشرط، وإن كان بعضها يدل على التخيير، والتخيير هنا أيضا وسيلة من وسائل الترغيب في التشريع:

- ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾
- ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾
- ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾
- ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ﴾
- ﴿ وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾
- ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

ومن ذلك أيضا :

- ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة : ٢٧٥
- ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢٧٩
- ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة : ٢٧٠.

والملاحظ أن جواب الشرط في أغلب هذه المواضع جاء معللا موضحا للأسباب؛ فالتعليل أسلوب تعليمي خالص ، يلجأ إليه المتكلم وهو يرى المتلقي نصب عينيه ويعلم وقع المعنى عليه ، ومن هنا يسلك التعليل طريقاً لأداء معناه لاسيما إذا احتمل هذا المعنى لبثاً في ذهن المتلقي . ومجيء التعليل في جواب الشرط –هنا– أثر لغاية نفسية وليس لمجرد المعنى ، فالتعليل يركز أهمية الإنفاق في ذهن المتلقي ويزيد من درجة فهمه ثم امتثاله له ، فيبدأ المتلقي جادا في تحويل المعنى إلي سلوك عملى وفعل منجز " فنحن نعتمد دون شك على البنية

النظمية وعلى المفردات المستعملة في رسالة لغوية للتوصل إلى فهم معين لها ، ولكننا من الخطأ أن نظن أننا نقتصر على الاعتماد على هذا الاستعمال الظاهري للغة لكي نفهم الرسالة ... وذلك بكل بساطة لأننا نحتاج إلى المزيد من المعلومات " [1] إن مجيء التعليل مكن للغاية الإقناعية.

ب- أسلوب التفضيل وغايته التمكينية وإنتاج الدلالة الضمنية:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ البقرة : ٢٦٣.

فاسم التفضيل هنا وقع بين طرفين محببا ومحفزا للطرف الأول؛ لتقبل عليه النفس، وخوفا من الطرف الثاني لتنفر النفس منه، وهو وسيلة تربوية تعليمية ناجحة ناجعة.وقد جاء في أسلوب متكامل يخدم المعنى ويمكن الدلالة، وهذا التركيب ينتج فناً بديعياً هو حسن الابتداء ، وذلك من أثر : قول- في بداية الآية التي جاءت تعقيبا على المعنى الذي أصلته الآية الأولى، وهذه البداية ترفع من درجة استقبال المتلقي للنص إلى غايته ، وتخلق في نفسه الوجدان الذي يستدعيه هذا الابتداء من النفور والاشمئزاز من إيذاء المُتَصَدَّقِ عليه، فقد أصبح البدء قادراً على إنتاج الانفعال اللازم للمعنى قبل وصول المعنى ذاته ، " ولذلك تنال بدايات النصوص من اهتمام المبدع مالا تناله الأجزاء الأخرى في النص.

﴿ وإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فاسم التفضيل هنا بمثابة اختيار اختاره الله تعالى لهم، فهو تحفيز ودفع للتصدق ورفع الثقل عن ذوي العسرة.

(١) ح براون ، حول تحليل الخطاب ،ت د. محمد لطفي ، د . منير التريكي ، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م. ص ٢٦٧

ج - خبرية التذييل وأثرها التمكيني:

نلاحظ أن التذييل جاء في الآيات مناسبا للمعنى ممكنا للدلالة معللا أحيانا لأهمية الاستجابة، وسنقف على هذه المواضع فيما يلي:

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾
﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

عدد هذه الجمل واحد وعشرون جملة، نلاحظ فيها:

- غلبة الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية. مع ملاحظة أن الجملة الخبرية هنا تأتي ممكنة لمضمون الآية قبلها.

- تكرار التذييل بقوله تعالى﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ثلاث مرات مما يدفع المتلقي إلى الإنفاق حذرا من الخوف والحزن ورغبة في النجاة والفوز.

- تكرار ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ مرتين لترغيب المتلقي في الإنفاق طمعا في عطاء وأجر الله تعالى. وجاء أيضا التذييل بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ و﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ و﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ و﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ و﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ لتأكيد هذه الدلالة.

ويعلل حازم القرطاجني ت ٦٨٤هـ سبب تأثير حسن الختام بقوله : " وإنما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنه منقطع الكلام وخاتمته ، فالإساءة فيه معفية علي كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس "[1].وعلي عكس ذلك إذا تحقق إحسان وإتقان هذا الأسلوب فإنه يرسخ ما قبله ويقويه في نفس المتلقي .

(١) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٦. ص ٢٨٥ .

د ـ القصر وأثره التأكيدي والتمكين للغاية الإقناعية:

يرتبط أسلوب القصر أياً كانت طريقته بغاية التوكيد ؛ حيث يناسب حالة المتلقي، ويقصد إثارته وتشجيعه وذلك انطلاقاً من أثر مزدوج يبدأ من أهمية المعنى الذي يصل إلى المتلقي بدرجة تتناسب مع أهميته.

فأسلوب القصر يبين قيمة المعنى، ثم يبدأ دور القارئ حتى يصل إلى ما وراء الكلمات من دلالات فيقف على أثر كل منها، ويتحول الأسلوب إلى سلوك منجز.

دلالة إنما هي نفي ما حدث قبلها وإثبات ما وراءها، ومن ناحية أخرى تأتي إنما مع المعاني التي تكتب تتلى على القارئ أو المتلقي ، ويكون في اعتقاده شيء والحقيقة التي تأتي وراء إنما شيء آخر ، فيكون دورها مزدوج في آن واحد تنفي وتثبت في نفس اللحظة .

أما الدلالات التي وراء ذلك الصنيع فعالية وعظيمة يقول الإمام عبد القاهر ت ٤٧١ هـ " أعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت إنما جاء في زيد ، عقل منه أنك . أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك : جاءني زيد لا عمرو ، إلا أن لها قربه وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة ، وليس كذلك الأمر في : جاءني زيد لا عمرو ، فإنك تعقلهما في حالين . ومزية ثانية وهي أنها تجعل الأمر ظاهراً في أن الجائي زيد ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام بلا فقلت : جاءني زيد لا عمرو " (١)

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

---

(١)عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق:محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ص ٢٢١ .

الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة : ٢٧٥ : ٢٧٦ .

فالمعنى في الاستثناء هو ترهيب المتلقي من الربا، وذلك بوصف قيامه بهيأة الممسوس من الشيطان، فهو يترنح يمينا ويسارا، والاستثناء هنا مكن لهذه الغاية الترهيبية، أما في القصر بإنما فالمعنى في الآية هو بيان خطأ اعتقاد المرابين الذين يقولون إن البيع مثل الربا، وهذه الجملة المحكية على لسانهم تساوي بين مطلق البيع ومطلق الربا، وهذا من المغالطات، ولذا جاء الإيضاح والرد من الله تعالى، بأنه سبحانه وتعالى أحل البيع وحرم الربا. فالدلالة الضمنية هي التحذير من الربا، ودفعه إلى التصدق والإنفاق.

ثانيا: الأساليب الإنشائية وأثرها التمكيني:

أ- الطلب بعد أسلوب النداء:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ281﴾ .

والملاحظ أن وراء النداء نجد الطلب، ومن ثم يكون للنداء عدة مهام:

- التلطف في الطلب .

- التنبيه لأهمية الطلب.

- ولكننا نلاحظ في النداء الثالث أن نبرة الصوت قد ارتفعت نتيجة لتتابع وتيرة التحذير من الربا، وقد تطور التهديد حتى وصل إلى الإيذان بحرب من الله ورسوله، ويأتي التذكير باليوم الآخر هنا أيضا مخوفا ومرهبا.

ب - أسلوب السؤال المرقق للنفس:

السؤال من أكثر التراكيب اللغوية الفنية استدعاء للمثيرات عند المتلقي فهو يمارس إثارة الدهشة الناجمة عن قطع رتابة التلقى المستكين ، ورضوخ المتلقي لخمول وطأة استقبال التراكيب الجاهزة ، ويمارس فعل المفاجأة التي تنتهك جمود التوقع لتنشأ جدلية حيوية حركية بين المبدع والمتلقي عبر تركيب السؤال ذلك الذي يجعل المتلقي فاعلاً أصيلاً في التجربة الإبداعية بما تتضمنه من جدلية لا تزول بين المبدع والمتلقي ، فإذا كان المنوط بالعمل الفني انتهاك رتابة الألفة بالكشف عن رؤي جديدة مهما اختلفت أسباب الصياغة والسير بالمتلقي في عالم جديد من الرؤى والعلاقات ؛ فإن أقصي درجات التماشج بين أطراف الدائرة : المبدع – المتلقي – العمل الفني – تتحقق حين يوضع المتلقي أمام سؤال لا شك في اختلافه عن الأساليب التقريرية الإخبارية – من ناحية – أو الأساليب التصويرية البيانية – من ناحية أخرى "[1].وسنقف على دور السؤال التمكيني خلال قوله تعالى:

(١) عيد بلبع . أسلوبية السؤال رؤية فى التنظير البلاغى ، دار الوفاء ١٩٩٩م ص ٧٧ .

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة : ٢٦٦ .

فهذا سؤال يخاطب الوجدان قبل العقل. وهو سؤال ينبه الغافل، ويحث العاقل، ويدفع نحو الفعل، ومن ثم تتضح بجلاء جدلية العلاقة بين النص القرآني والمتلقي ، فالمتلقي لا يكون دوره أخيراً دائماً بل هو الذي يفهم ويتمثل ومن ثم ينفعل ويتخذ موقفا، وهذا هو المقصود، حيث " توجد ثلاث طرق تربط فيها قوى أفعال الكلام بآثاره ونتائجه ، فمنها سكون النفس وطمأنينتها إلى الفهم ومنها سريان المفعول وأثره ، ومنها تلمس الإجابة " [١] " فالسؤال هنا يؤدي دورا تمكينيا يحرك العاطفة فهذه الجملة الإنشائية مثلت " العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المستقبل والتي بها يستطيع أيضاً أن يفرض على المستقبل وجهة نظره في الفهم والإدراك " [٢]

فمجيء السؤال بعد النهي والأمر رشح الطلب الضمني في الشرط وهو الأمر بالإنفاق ، والنهي الضمني أيضاً وهو النهي عن الشح والإقتار ، وجعل السؤال المعنى النظري في الإجمال حقائق وصوراً واقعية قريبة من المتلقي فتزداد درجات امتثاله للمعنى ،ويزداد تحقق الأمر أو النهي الضمنيين في نفسه .

(١) أوستين : نظرية أفعال الكلام العامة ،مرجع سابق ص ١٣٦ .

(٢) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، د ت، ص ٤٩

وبهذا يتضح أن " اللغة لم تعد انعكاساً في الذاكرة الإنسانية لشكل خارجي؛ ولكنها صارت أداة للتعبير عن تجربة حسية ومعاشة ". [1] ويبقى لكل أسلوب تركيبه الخاص ودلالاته التي تميزه عن غيره بربطه بتجربته ومعناه وسياقه .

٤- البديع وتمكين الدلالة:

نلاحظ حضور التضاد لما يقوم به من توضيح وتكثيف للدلالات، كما في قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة : ٢٧١ ، فقد تضافرت(تبدوا- تخفوها) مع الشرط والتعليل في إنتاج الإيضاح والبيان بالدرجة التي تنتج امتثال المتلقي للمعنى لاسيما وأنه معنى تعليمي أخلاقي يدعو إلى مراعاة شعور المتصدق عليه، مع الحرص على نفعه، وبذلك نتبين أثر البديع في المعنى، فلم يأت حلية لغوية بل جاء ممكنا للمعنى.

كما نجد أن التضاد بيّن عموم الزمان وعموم الحال شريطة تحقق الإخلاص في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

كما أنه جاء مصورا حالة المال الذي تختلف فيه طرق الكسب، فما جاء عن طيب نفس يباركه الله تعالى، وما جاء بطرق معوجة يمحقه الله ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

كما نجد التضاد يقوم بدوره التمكيني التحفيزي الدافع المؤثر في نفوس المتلقين، حيث قدم التضاد مقارنة بين وعد الله ووعد الشيطان، وجاء التذييل هو

(١) بيرجيروا . الأسلوب والأسلوبية، مرجع سابق ص ٢٢ .

الآخر محفزا دافعا إلى الميل والاستجابة لوعد الله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

كما أنه جاء ردا على ادعاءات الكافرين الباطلة؛ ليدحض حجتهم، وليبين سوء فهمهم، فقد قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ كما أن التضاد حمل دلالة التهديد والوعيد، فالعلاقة بين(انتهى) و(عاد) تحمل بعدا تهديديا، يخوّف من لم ينته.

فنجد أن هذه الآيات قائمة على المقابلة بين المعاني للوصول إلى الغاية من الخطاب، وقد مثلت فناً بديعياً هو الإيضاح وبه تم المعنى وتم النص وأخذ الكلام صفة النصية ولا يمكن حذفها ، ومن ثم تظهر مصداقية وجود فنون البديع كلها وبدون استثناء فلكل منها خاصيته الأسلوبية التي تستدعيه ، وتصبح في عملية تذييل البديع " غفلة عن الوظيفة الفنية التي يسهم البديع في تحقيقها وهي وظيفة من أخص خصائص الكلام الأدبي ألا وهي وظيفة الأدبية كما قد يسهم البديع في إكساب الكلام صفة النصية "(١).

فالتمثيل والمقابلة فى القرآن الكريم لا يمكن أن تعد فى " هذه المحسنات البديعية والصور الخيالية التي يصطنعها الكتاب عمداً ، ظانيين أنها حلي بديعية أو مدارين بها فقراً عقلياً ونقصاً ذوقياً " (٢) ولكن الأدوات الأسلوبية في الخطاب القرآني من قبيل الأدوات التي " تدخل الأساليب الأدبية حين تدعوها طبيعة المعاني

(١) جميل عبد المجيد – البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ،سلسلة دراسات أدبية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٨م.ص ٣٢ .

(٢) أحمد الشايب . الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية . نهضة مصر ، ط٢ ، ١٩٨٨ ص ١٩٩

لتقويتها أو إيضاحها أو حين يلجأ إليها الخيال ليصور بها عاطفة صادقة وانفعالاً قوياً "[1].

وبهذا نجد تضافرا بين المكونات البلاغية لتمكين الغاية الإقناعية، فالآيات فندت كل ما قد يدور في ذهن المتلقي، وخاطبت عنده العقل والعاطفة، وحركته ودفعته نحو التحول السلوكي ليكون منفقًا.

(١) نفسه ، ص ١٩٩

الخاتمة

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد؛

فقد وقفنا في الصفحات السابقة مع آيات الأحكام في القرآن الكريم محاولين أن نوضح من خلالها آليات الخطاب التعليمي في الخطاب التشريعي في القرآن الكريم.

وقد اتضح لنا أن البلاغة لم تكن حلية لفظية بل كانت ممكنا للغاية التشريعية، فلم تأت زينة أو زخرفة، وإنما كانت توضح وتعلل وتبين وتفسر الأحكام، وكانت تهيئ النفوس لتلقي هذه الأحكام.

وقد كان الإقناع بالإنفاق نموذجا اتضحت فيه معالم تعليمية الخطاب القرآني، فقد اجتمعت في هذه الآيات الممكنات البلاغية والأسلوبية والتداولية والحجاجية التي تصل بالمتلقي إلى الإنفاق، فيتحقق خلالها البعد التشريعي .

فقد وجدنا المفردة المؤثرة في سياقها، كذلك وقفنا على التراكيب التي أثرت ببنائها الأسلوبي في دفع المتلقي،وكذلك الصورة ، فلم تات الصورة ممتعة فحسب، بل كانت مقنعة مؤثرة دافعة.

أما البديع الذي يُنظر إليه بوصفه حلية أسلوبية ، وزخرفة لفظية، فهو في القرآن عامة وفي الخطاب التشريعي خاصة ذو بعد تعليمي، حيث إنه يجعل التعبير مقبولا من النفس، فتقبل النفس على تمثل العبارة وتطبيق التشريع.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد.

المراجع

١. ابن أبي حاتم :تفسير القرآن العظيم ، ط: نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة، الأولى، سنة: ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢. ابن العربي: أحكام القرآن ، ط: دار الكتب العلمية- بيروت.

٣. ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط: دار ابن الجوزي- السعودية، الأولى، سنة: ١٤٢٣هـ.

٤. أحمد الشايب . الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية . نهضة مصر ، ط٢ ، ١٩٨٨م .

٥. أوستين : نظرية أفعال الكلام العامة ، ت عبد القادر قنيني .أفريقيا الشرق الطبعة:١٩٩١م.

٦. بيرجيروا : الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة : د. منذر عياشي مركز الإنماء الحضاري الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٧. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) :زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد القادر المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت،١٤٢٢هـ.

٨. جميل عبد المجيد – البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ،سلسلة دراسات أدبية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٨م.

٩. جورج مولينيه : الأسلوبية ، ت د / بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

١٠. ح براون ، حول تحليل الخطاب /ت د/ محمد لطفي ، د / منير التريكي ، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م

١١. حازم القرطاجني، *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٦.
١٢. حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٤.
١٣. روبرت هولب . نظرية التلقي ، ت د. عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر
١٤. سعيد بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان. ١٩٩٧م. الطبعة الأولى
١٥. سيد قطب: في ظلال القرآن، ط: دار الشروق، الثانية والثلاثون، سنة: ٢٠٠٣م.
١٦. عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، دت .
١٧. عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة .
١٨. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق:محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
١٩. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ، الطبعة الثالثة، سنة: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
٢٠. عيد بلبع . السياق وتوجيه دلالة النص: مقدمة فى نظرية البلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة: ٢٠٠٧م .
٢١. عيد بلبع . أسلوبية السؤال رؤية فى التنظير البلاغى ، دار الوفاء ١٩٩٩م

٢٢. فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ، ط: دار الفكر، الأولى، سنة: ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٢٣. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ): تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، دار الكاتب العربي – القاهرة (١٣٨٧هـ/١٩٦٧مدرعات) تصوير عن طبعة دار الكتب المصرية.
٢٤. محمد حماسة عبد اللطيف :الجملة في الشعر العربي ، الخانجي ، القاهرة.
٢٥. محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٩٩٠م.
٢٦. محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر الطبعة الاولى ١٩٩٤ .
٢٧. محمد فاروق النبهان: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ط: دار عالم القرآن – حلب، الأولى، سنة: ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٢٨. محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، ط: دار الشروق– القاهرة، الثامنة عشر، سنة: ٢٠٠١م.